القراءة تحدد مصير الأمم

- لا ازدهار للديمقراطية ولا مواطنة صالحة ولا أمن في مجتمع لا يقرأ

◆ سامان نوح

القراءة مفتاح العلم والمعرفة وطريق الحضارة وبالقراءة تزيد مهارات الانسان ومعارفه ويكتسب خبرات الاخرين (اشخاص او امم) لتطوير الحياة، وهي طريق لتهذيب الخلق واستقامة السلوك، وهي مجال مفيد للترويح عن النفس، والاسلوب الامثل لقضاء اوقات الفراغ.

يقاس تقدم الأمم والحضارات والدول بكمية ما تنتج من علم وأدب وثقافة ومدى تأثيرها في أُمتها وفي الامم الاخرى، وذلك يتأتى من فعل القراءة والتعلم.

سُئل فولتير عمن سيقود الجنس البشري.. فأجاب "الذين يعرفون كيف يقرؤون".

ويتفق مع فولتير عشرات المفكرين في العالم ان العالم سيقوده من يقرؤون ومن يعرفون كيف يقرؤون.

أول ما نزل من القرآن الكريم على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العلق:1-5).

ودفعت تلك الآية واخريات غيرها واحاديث نبوية عديدة اجيال من المسلمين الأوائل الى الاهتمام بالقراءة والعلم ، وهو ما مكنهم من سيادة الدنيا خلال قرون.

في العصر العباسي الاول كان للكتاب والمؤلفين مكانة مميزة، وازدهرت حركة التاليف والترجمة وإنشاء المكتبات بشكل خاص في بغداد، وأصبحت المكتبات تحوي عشرات الآلاف من المجلدات.وكانت في بغداد سوق كبيرة للكتاب فيها عشرات الدكاكين، وتأتيها الكتب من كل انحاء العالم، وكان المؤلفون والمترجمون والقراء يتسابقون على اقتنائها.

تقول المستشرقة الالمانية (زيغريد هو نكه) "في عام 891 م بلغ عدد دور الكتب في بغداد وحدها اكثر من مائة دار".

- تراجع معدلات القراءة يثير قلق الامريكيين بفقدان قيادتهم للعالم
- تقارير تكشف تراجع دور القراءة في الثقافة الاميركية للمرة الاولى في تاريخ الولايات المتحدة

وتقول "متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربي في القرن العاشر هي اكثر مما كانت تحويه كل مكتبات الغرب مجتمعة".

وينقل اليعقوبي (284هـ) اوضاع بغداد ايام المنصور متحدثاً عن وجود عشرات المكتبات وسوق خاص بالوراقين كان يضم "اكثر من مئة حانوت لبيع وشراء الكتب".

وكانت المكتبات تنتشر في بيوت الخلفاء والامراء والوزراء والشخصيات العلمية والاجتماعية، اضافة الى المساجد ومتاجر بيع الكتب.

واشهر مكتبة عرفتها بغداد كانت (بيت الحكمة) والتي عمل فيها الخوارزمي والكندي ويحيى بن ابي منصور، وعشرات المؤلفين والعلماء المسلمين، وضمت آلاف المجلدات، وكانت تستقطع آلاف الدارسين من مختلف انحاء العالم الاسلامي.وقد اقترن اسم المكتبة بحركة الترجمة الكبرى التي حدثت زمن المأمون حيث كانت هذه الحركة الغذاء الأوفر لها.

وينقل عن الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أسس مكتبة (الحكمة) ان عملية تشجيع المؤلفين على التأليف والترجمة بلغت في عصره حد زنة كتب العاملين في ميدان الترجمة بوزنها ذهباً.

وتنقل بعض المصادر التاريخية وصول عدد المجلدات أيام المأمون في بيت الحكمة الى مائة ألف مجلد جيدة النسخ والتجليد كان منها ستة آلاف وخمسمائة مجلد في علمي الطب والفلك.

وكان بيت الحكمة يمثل مؤسسة واسعة ذات اقسام متنوعة بينها ما اختص بالنسخ وكان بمثابة دار للطبع والنشر واشتغل فيها مشاهير الفنانين في الخط والكتابة، كما كان هناك قسم آخر للترجمة مهمته نقل الكتب الفارسية والهندية واليونانية والكلدانية والقبطية وغيرها من اللغات القديمة الشائعة.

لكن الامور تغيرت بعد ذلك بقرون، وجاءت عصور التخلف، وصار المسلمون اليوم امة تتفرج ولا تقرأ وتقاد ولا تقود. ونرى اليوم ان الحالة الثقافية تسوء مع انتشار الأمية بنوعيها امية القراة والكتابة وامية الثقافة والعلم، وسط تراجع دور المؤسسات التعليمية وقوة تاثيرها.

تشير التقارير الدولية عن القراءة في العالم ومنها تقارير منظمة (اليونسكو) ان المواطن فيما يعرف بدول الوطن العربي يقرأ (6) دقائق في السنة، ويصدر في تلك البلدان كتاب لكل (300) ألف مواطن، بينما يصدر كتاب لكل (15) ألف مواطن في أوروبا، وكل دور النشر العربية تستوعب من الورق ما تستهلكه دار نشر فرنسية واحدة هي (باليمار).

ورغم تشكيك البعض بالارقام المذكورة واعتبارها مبالغا فيها، لكن لا احد يختلف او يشكك في تدني مستويات القراءة في هذه المنطقة من العالم ويتفق الكثيرون ان (الأمية الثقافية) ظاهرة واضحة في مجتمعاتنا، وان هناك تراجع خطير في مستوى (القراءة الجادة) خاصة مع انتشار الانترنيت الذي حول جزء غير قليل من قراء الكتب الى المطالعات العامة والحوارات والاخبار الغريبة.

يعتبر القرآن الكريم أن الأمية ليست أمية القراءة والكتابة فحسب، بل أمية الأفكار. يقول الله تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ) (البقرة: من الآية 78) أي لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة فقط على أحد وجوه التفسير. (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ..) أي غير عارفين بمعاني الكتاب يعلمونها حفظاً وتلاوة بلا فهم ولا يدرون ما فيه. وقوله: (إِلاَّ أَمَانِيَّ) أي تلاوة بلا فهم لا يعلمون فقه الكتاب إنما يقتصرون على ما يسمعون بشكل عام.

ويقول القرآن (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (المجادلة: من الآية11).

ان مفهوم القراءة هو ليس مجرد فك الحرف انما يتمثل بالعملية التعليمية الكاملة والتي تشمل الإدراك والتذكر والاستنتاج والربط ثم التحليل والمناقشة. والقراءة ليست حاجة لمواكبة التطور بل هي ضرورة حياتية عبرها تبدأ عملية بناء النفس وادراك قيم الحياة.

كما ان القراءة لا يقتصر تأثيرها على تنمية

الثقافة العامة وما ترتبط بها من تطور في البنية الاجتماعية فقط بل تؤثر ايضاً فيه مستوى التطور الاقتصادي والسياسي وفق ما تؤكده البحوث.

الاوربيون وشعوب العالم المتحضر يقرأون اليوم في كل مكان في الحدائق وفي الشوارع وفي محطات المترو وفي الحافلات ، وهذا الامر يشكل مثار استغراب بالنسبة لنا في مجتمعات الشرق الاوسط التي توصم القارئ (بالمعقد والبطران والخيالي والفاشل)، لكن كتب التاريخ تقول ان الاوضاع في بغداد ايام زهوها لم تكن بعيدة عن المشاهد الاوربية اليوم ، بل حملت صورا اكثر غرابة:-

1- الخطيب البغدادي (392هـ - 463هـ) كان يمشي وفي يده جزء يطالعه، وكان من النادر ان تراه ان لم يكن يحمل معه كتاباً يطالعه.

2- أبو بكر الخياط ،النحوي، كان يدرس في جميع أوقات يومه حتى وهو سائر في الطريق.

3- الجاحظ، الأديب المعروف، من شدة ولعه بالقراءة قيل انه لم يقع كتاب في يده قط إلا وقرأه ، وكان يكتري دكاكين الكتبيين ويبيت فيها للمطالعة.

4- الفيروزبادي صاحب معجم "لسان العرب" اشترى بخمسين ألف مثقال ذهب كتباً، وكان لا يسافر إلا وبصحبته منها عدة أحمال.

- وتحدثنا كتب التاريخ عن مكتبة الاسكندرية العظيمة في مصر ومكتبة اشور بانيبال في العراق وعن مكتبات وحركة (ادبية - علمية) كبرى كانت تعيشها ايران ايام الامبراطورية العثمانية، وينقل كتاب (تاريخ القراءة) لألبرتو مانجويل قصة أمير فارسي كان يصطحب مكتبته المؤلفة من 117000 كتاب على ظهر قافلة من الجمال مصنَّفة بحسب الأحرف الأبجدية.

تراجع قراء الادب في امريكا

واذا كنا نحن في العالم (النامي) نعاني منذ قرون من التخلف مع هجرتنا للقراءة والكتاب واستمرار الكارثة، فان مشكلة تراجع القراءة (بنسب محدودة) بدات تظهر في دول ومجتمعات اخرى، وهو ما يدفعها لدق نواقيس الخطر.

في بعض الدول الغربية المتقدمة سجل في الاعوام الاخيرة تراجع في معدلات القراءة لأنواع محددة من المؤلفات، ففي امريكا سجل خلال السنوات التي اعقبت حادثة ايلول 2001 تراجع مقلق في نسبة قراءة الكتب الادبية وبشكل خاص الرواية، لكن ذلك التراجع كان محدوداً في بقية انواع الكتب. ورغم ذلك فعد الامريكيون ذلك التراجع بانه امر مرعب يدعو للانتباه والتحرك، ودعت اوساط امريكية الى مراجعة جادة لما يحدث في المجتمع الامريكي، محذرين ان ذلك قد يعني نهاية عصر التفوق الامريكي، لما تعنية القراءة من تأثير على استمرار التفوق والتطور.

تلك التحذيرات جاءت بعد صدور دراسة رصينة عن اتجاهات القراءة في المجتمع الامريكي، امتدت على فترة عشرين عاماً وحملت عنوان "القراءة في خطر" وتناولت قراءة الأدب في الولايات المتحدة الاميركية وطاولت القارئ الأميركي من جميع الأعمار ومختلف مستويات التحصيل العلمي، وقد جاءت النتائج مقلقة ومثيرة للاستغراب.

اكثر من نصف عدد الاميركيين البالغين يُحجم عن قراءة الأدب 2

الدراسة التي قامت بها مؤسسة National Endowment for the Arts المكتب القومي لرعاية الفنون، وهي وكالة فيدرالية أميركية ثقافية، جاءت من اجل تحديد شكل تغير التقاليد والعادات الثقافية في الولايات المتحدة، واعتمدت على معطيات جمعها المكتب الاميركي للاحصاءات في الاعوام (1982، 1985، 1992، 2002) من نحو 17ألف شخص، وخرجت بمؤشرات اثارت قلق واستغراب المؤسسات الثقافية الامريكية الى جانب دور النشر الامريكية وعلى امتداد العالم، حيث أظهرت الدراسة ان جمهور القراء ادار ظهره لقراءة الادب الروائي.

فالمعطيات كشفت بعد رصد التحولات التي طرأت على المدى الطويل (1982-2002) على العادات الثقافية لدى الاميركيين وعلى قراءاتهم وأنواع هذه القراءة ومواضيعها، عن نتائج خطيرة لا تتعلق بالأدب الخيالي وبالرواية بصورة خاصة فقط بل بعموم القراءة ، حيث اعتبر التقرير ان "القراءة في خطر" وكشف على نحو ساطع تراجع دور القراءة في الثقافة الاميركية، للمرة الاولى في تاريخ الولايات المتحدة الحديث، فاكثر من نصف عدد الاميركيين البالغين يُحجم اليوم عن قراءة الأدب .

التقرير كان مقلقاً لكل شخص او جهة تقدّر دور الادب واهميته في البنية الثقافية والفكرية والسياسية.

تشير معطيات التقرير الى ارقام قاطعة حول تراجع القراء الاميركيين في مجال الادب الخيالي، وعلى امتناعهم عن قراءة الرواية: ففي حين كان 59.9في المئة من البالغين (فوق سن الثامنة عشرة) يقرأون كتاباً واحداً على الاقل في السنة (سواء كان رواية او مجموعة قصصية او كتاباً شعرياً او نصاً مسرحياً) في العام 1982، هبطت هذه النسبة الى 54 في المئة في العام 1992 (بتراجع قدره 2.9 نقطة) ثم الى 46.7 في العام 2002 (بتراجع 7.3 نقطة).

هذا الانحدار السريع الذي يخيف ناشري الادب وأصحاب المكتبات الاميركية بصورة خاصة، والذي كان مقنعاً يتخفى وراء جوائز ادبية (بيست سيلرز) كرواية "دافنتشي كود" الاخيرة ، يشكل خسارة قوامها 36 مليون قارئ من اصل 206 ملايين شخص بالغ في الولايات المتحدة الاميركية.

لم يتقدم عدد قراء ادب الخيال، بحسب المعطيات الاولية في الدراسة، إلا بنسبة (0.6 في المئة بين عامي 1982و2002، مع ان عدد الاميركيين الذين بلغوا سن الرشد تقدم في الفترة نفسها فبلغ نسبة 37.9 في المئة. وفي العام 2002 لم يقرأ رواية واحدة او مجموعة قصصية واحدة على الاقل في العام الواحد إلا 45.1 في المئة من الاميركيين البالغين، ولم يقرأ كتاباً شعرياً واحداً على الاقل إلا 12.1 في المئة منهم، ولا نصاً مسرحياً واحداً على الاقل إلا 3.6 في المئة.

خلال عشرين عاماً، قارب عدد قراء الادب – أي الذين قرأوا كتاباً ادبياً واحداً على الاقل في السنة – وفقاً للمعايير والحدود التي وضعها معدو الدراسة، قارب 18 في المئة. وما يبعث على القلق، فوق ذلك، ان تراجعاً حاداً عن قراءة الرواية ضخم كثيراً عدد المتراجعين عن هذه القراءة. ففي العقد الممتد بين سنتي 1992

و2002 تراجع عدد قراء الادب بنسبة 13.5 في المئة، بينما لم تبلغ نسبة تراجعهم في العقد الذي سبقه (1992-1982) إلا 5 في المئة فقط.

بعض المراقبين يرى ان هذا الانهيار الحاد بدأ منذ اربع او خمس سنوات فقط. هذا على الاقل ما يراه اوليفييه نورا مدير دار "غراسيه" للنشر الفرنسية الذي قضى سنوات في الولايات المتحدة تولى اثناءها ادارة مكتب الكتاب الفرنسي في نيويورك : "اعتقد ان هناك قبل 11 ايلول وبعده، ثمة إقبال، من الآن فصاعداً على قراءة الكتب غير الخيالية التي تفسر ما حدث، يجعل قراءة الادب الخيالي تتراجع".

والواقع ان سرعة تراجع عدد قراء الادب، بلغت ضعفي سرعة تراجع قراء الكتاب بصورة عامة.

طبعاً الدراسة لا تأخذ بالحسبان القراءات الواجبة والمفروضة على الطلاب والجامعيين وأصحاب المهن التي تستلزم القراءة في عملهم المهني.

بين عامي 1992و2002 تراجع عدد قراء الكتاب عموماً. لكنه لم يتراجع إلا من 60.9 في المئة الى 56.6 في المئة أي بنسبة 7 في المئة (4.3 نقطة).

بحسب الدراسة فان الهبوط اكثر وضوحاً بين القراء الرجال، قد انخفض عددهم في السنوات العشرين التي رصدتها الدراسة، من 49.1 في المئة الى 37.6 في المئة (11.5 نقطة)، في حين ان القارئات النساء فقد انخفض عددهن، في الفترة نفسها، من 63 في المئة الى 55.1 في المئة (7.9 نقطة). وتوضح الدراسة ان هذا التراجع يطاول الاميركيين جميعاً بمختلف مستوياتهم التعليمية.

خلال عشرين عاماً تراجعت نسبة القراء الذين يقرأون كتاباً ادبياً واحداً على الاقل في السنة، بين حملة الشهادات الجامعية (الحلقة الاولى) من 72.9 في المئة الى 52.9 في المئة، وتراجعت نسبتهم بين حملة الشهادات الجامعية الاخرى (الحلقتان الثانية والثالثة) من 82.1 في المئة الى 66.7 في المئة. ويظل المستوى التربوي والتعليمي العامل الحاسم في قراءة الادب، ذلك ان قراءة الادب تراوحت في العام 2002 بين 14في المئة في اوساط الذين لم يتخطوا في تعليمهم المدرسي المتوسطة، و74.3 في المئة في اوساط الذين حصّلوا تعليماً جامعياً. اما تفاوت نسب القراءة تبعاً لاختلاف المداخيل المالية العائلية، فهو اقل اتساعاً: اذ تبلغ نسبة قراء الادب في الاسر التي يزيد مدخولها السنوي عن 75 ألف دولار 60.8 في المئة، في حين انه تبلغ هذه النسبة 32.1 في الاسر التي لا يتعدى دخلها السنوي عشرة آلاف دولار.

تراجعت قراءة الادب في اوساط السود بأقل مما تراجعت في اوساط اميركية اخرى: فقد كانت هذه النسبة 45.6 في المئة في العام 1982 فتراجعت الى 42.3 في المئة في العام 1992، ثم الى 37.1 في المئة في العام 2002. في اوساط الاميركيين ذوي الثقافة الاسبانية تراجعت نسبة قراء الادب في السنوات نفسها من 36.4 في المئة الى 34 في المئة ثم الى 26.5 في المئة.

ويأتي عدم اهتمام الفتيان والشبان الصغار

البالغين، بالأدب كظاهرة لافتة تثير القلق على المستقبل في امريكا. ففي حين ان قراءة الادب في صفوف القراء الذين تعدوا سن الخامسة والاربعين سجلت تراجعاً، الا انها انهارت في صفوف الذين هم دون هذه السن.

خلال عشرين عاماً تراجعت قراءة الادب لدى جميع فئات الاعمار فبلغ معدل نسبتها الوسطي 18 في المئة ويشكل هذا التراجع مصدر قلق عميق لدى صانعي انتاج الكتب وعاملاً من عوامل اضعافها. فدور النشر الاميركية تصدر سنوياً نحو 120 ألف كتاب جديد، تبيع منها ما يقرب من بليوني ونصف البليون نسخة، أي ثلاثة اضعاف ما كانت تبيعه قبل خمس وعشرين سنة.

يتراجع في الوقت نفسه عدد القراء في جميع انواع القراءة. ففي العام 2002 بلغت نسبة الاميركيين الذين قرأوا بين ستة كتب وأحد عشر كتاباً في العام الواحد، 12 في المئة، ونسبة الذين قرأوا بين اثني عشر كتاباً وتسعة وأربعين كتاباً في العام الواحد 9 في المئة، ونسبة الذين قرأوا اكثر من خمسين كتاباً 4 في المئة. ويقول القيمون على الدراسة ان نسبة القراء الاميركيين تأتي في مرتبة ادنى من نسبتهم في كندا وفي البلدان الاوروبية المتقدمة.

القراءة مسألة امن وطني

اغلب المساجين والقاتلين في الجامعات.. لا يقرأون

واذا كانت معدلات القراءة في تراجع فهذا يعني ان امريكا كلها في تراجع وهو ما يدفع الامريكيين لمراجعات دقيقة لمجتمعهم من اجل ضمان الاستمرار في المقدمة. ويدور اليوم في أمريكا (البلد الاول في العالم في مجالات العلوم والتكنولوجيا والتعليم والفكر والفنون) جدل كبير حول التقدم والتخلف في مختلف المجالات، اضافة الى الحديث المستمر حول قضية التعليم والتربية والقراءة.

قبل 25 عاماً (في العام 1983) صدر تقرير مثير حول مستقبل امريكا حمل عنوان "امة في خطر". كان صدوره حدثا ثقافيا وحضاريا هائلا في أمريكا. حيث شكل صرخة تحذيرية من تراجع مستوى نظام التعليم والتربية في أمريكا مقارنة بالدول المتقدمة الاخرى، وحذر من تاثيرات ذلك على الامة الامريكية في جميع المجالات. لكن التقدم الامريكي استمر بفضل سلسلة مراجعات كبرى بما فيها مراجعة نظام التعليم حيث حصلت زيادة في مستوى دعم قطاع التعليم من قبل الحكومة الفدرالية بنسبة 104 بالمئة كما ازداد الدعم الفيدرالي الخارج عن إطار الميزانية لأمور مثل قروض التعليم والمساعدات بنسبة 207 بالمائة في الفترة الممتدة من عام 1990 حتى عام 2003 .*1 وبمناسبة مرور ربع قرن على ذلك التقرير "امة في خطر" صدرت في أمريكا تقارير كثيرة تتعلق بالقضايا محور الاهتمام والقلق وتساءلت امريكا في عملية مراجعة كبيرة : ماذا حققنا، وما الذي لم نحققه؟

بين التقارير الصادرة هذا العام ما ركز على التربية والتعليم وارتباطها بالثقافة العامة وبينها ما ركز على القراءة كونها محرك اساسي لتنمية المجتمع وتطوره الاقتصادي والسياسي ، وهو يوضح ماذا تعني القراءة بالنسبة لتقدم الأمم ومستقبلها . وبمراجعة عامة للتقرير نكتشف مكامن القوة الامريكية الحقيقية، كما نخرج بسلسلة استنتاجات مهمة لكل امة:

"**نقرأ او لا نقرأ**" 3

"**قضية لها تبعات قومية**"

هو عنوان تقرير ضخم يقع في 98 صفحة يعالج قضية القراءة في المجتمع الأمريكي، وهو دراسة احصائية موسعة وتفصيلية لحال القراءة في المجتمع الأمريكي، بالاعتماد على ما توفرها المؤسسات والاجهزة الأمريكية المختصة من ارقام.

يدرس التقرير التأثيرات والتبعات المدنية والثقافية والوطنية العامة لتراجع الاهتمام

بالقراءة، وتراجع معدلاتها ومهاراتها في المجتمع، وما يشكله ذلك من تاثيرات على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بما فيها الامن الوطني.

التقرير يناقش ثلاث مجموعات من النتائج الكبرى تتعلق بالمجالات التالية:

× معدلات الوقت الذي يقضيه الأمريكيون في القراءة.

× حال مهارات القراءة في المجتمع الأمريكي.

× الاثار المدنية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

الأمريكيون يقرأون أقل ويقلقون أكثر

النتيجة الاساسية التي يخرج بها التقرير ان الشباب والمراهقين الصغار في أمريكا يقرأون اقل مقارنة بالشرائح العمرية الاخرى، ومقارنة بما كان عليه الحال في الماضي:

1- الشباب الصغار يقراون كتبا اقل بشكل عام. فنحو نصف الأمريكيين الذين تتراوح اعمارهم بين 18 و24 عاما لا يقرأون أي كتب من اجل متعة القراءة. والمقصود بهذا القراءة الطوعية أي التي ليست مرتبطة بقراءة المقررات الدراسية مثلا. والذين يقراون كتابا واحدا ممن تتراوح اعمارهم بين 18 و 44 عاما، انخفضت بسبع نقاط مقارنة بالحال في الفترة بين 1992 و 2002.

2- القراءة ومعدلاتها تتراجع كنشاط منتظم في اوساط الشباب والمراهقين. فاقل من ثلث من يبلغون 13 عاما فقط يقراون يوميا. ونسبة الذين لا يقراون شيئا على الاطلاق من اجل المتعة ممن يبلغون 17 عاما تضاعفت في العشرين عاما الماضية.

3- الالتحاق بالكليات والجامعات لم يعد ضمانا لارتفاع معدلات القراءة. ف 65% من الذين يلتحقون حديثا بالجامعات يقراون اقل من ساعة في الادب كل اسبوع، او لايقراون اطلاقا.

4- يقضي المراهقون والشباب وقتا اقل في القراءة من الذي يقضيه الأمريكيون في الشرائح العمرية الاخرى. ومثلا، فان الذين يبلغون من العمر ما بين 15 و24 عاما يقضون ما بين 7 الى

10 دقائق في القراءة الطوعية يوميا، وهو ما يقل بنسبة 65% عن المعدل العام في أمريكا.

5- الاسر الأمريكية اصبحت تنفق على شراء الكتب اقل مما كانت تنفقه خلال العقدين الماضيين. ففي ما بين 1985و2005، انخفض الانفاق على الكتب بنسبة 14%. هذا في حين ان عدد الكتب الموجودة في البيت يعتبر مؤشرا هاما على الانجاز الاكاديمي.

ويسجل التقرير ملاحظة مهمة تتعلق بتراجع مهارات القراءة : ترافق مع تراجع معدلات القراءة في اوساط الأمريكيين تراجع لمهارات القراءة وخاصة في اوساط المراهقين والشباب.

ويشير التقرير ان الاحصاءات تؤكد وجود علاقة قوية بين القراءة التطوعية وبين الانجاز الاكاديمي. فقد اثبتت الاحصاءات والدراسات التربوية ان الذين يقراون بشكل يومي منتظم قراءات تطوعية يحققون انجازات اكبر في الاختبارات والتقدم الاكاديمي مقارنة بمن لا يقراون بانتظام.

التأثيرات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية لتراجع القراءة* 2

يعرض التقرير التأثيرات السلبية لتراجع القراءة ومهاراتها في المجتمع الأمريكي، على المجتمع، اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ووطنيا. و يرصد ثمانية جوانب للتاثيرات السلبية:

اولا: ان اصحاب الاعمال في المجتمع الأمريكي اصبحوا يعتبرون ان افتقاد او انخفاض معدلات ومهارات القراءة والكتابة من اهم اوجه القصور بالنسبة للموظفين الجدد. ف 63%من اصحاب الاعمال يعتبرون ان هذه المهارات لها اهمية قصوى.

ثانيا: ان القراء الجيدين يحصلون على وظائف افضل. والاحصاءات تشير الى ان 60% من القراء الجيدين يحصلون على وظائف في الادارة او في المجالات المالية والاعمال. اما الذين تقل عندهم مهارات القراءة فان 18%منهم فقط يحصلون على مثل هذه الوظائف. كما ان الذين يقراون يحصلون على رواتب اعلى.

ثالثا: ان الذين لا يملكون مهارات القراءة تقل فرصهم في الصعود والتطور الوظيفي. وتشير الاحصاءات هنا الى ان 38%من القراء العاديين قالوا ان المستوى المتدني من القراءة اثر على فرصهم الوظيفية. في حين ان 4%فقط من القراء الجيدين مروا بمثل هذه الخبرة.

رابعا: ان القراء الجيدين يلعبون دورا حاسما في اثراء الحياة المدنية والثقافية. والاحصاءات تشير الى ان اعداد القراء الجيدين يزيد بثلاث مرات عن اعداد الذين لا يقراون، من بين الذين يزورون المتاحف، ويحضرون الحفلات الموسيقية، ويبدعون اعمالا فنية.

خامسا: ان القراء الجيدين هم مواطنون صالحون. ويرصد التقرير هنا مؤشرات هامة:

× ان الذين يشاركون في الاعمال التطوعية والخيرية من بين القراء الجيدين يزيد عددهم باكثر من الضعف عن الذين يشاركون في هذه الاعمال ممن لا يقرأون.

× ان 84% من القراء الجيدين شاركوا في التصويت في الانتخابات الرئاسية عام 2000، مقارنة بنسبة 53%من الذين تنخفض معدلات قراءتهم.

سادسا: ان الذين تتدنى معدلات قراءتهم هم الاقل قدرة على اكمال تعليمهم الجامعي. والتقرير يعتبر هذه قضية خطيرة على اساس ان التقديرات تشير الى ان 70% فقط من طلاب الجامعات يحصلون على الشهادة في الوقت المحدد.

سابعا: ان الذين تنخفض معدلات قراءتهم تزيد احتمالات عدم انخراطهم في سوق العمل. فالاحصاءات تشير الى ان اكثر من نصف الذين لا يمتلكون مهارات القراءة هم خارج سوق العمل.

ثامنا: ان النسبة الاكبر من نزلاء السجون هم من الذين لا يقراون. فالاحصاءات تشير الى ان

56% من نزلاء السجون هم من الذين لا يقراون او تنخفض معدلات قراءتهم. في حين ان 3% فقط من النزلاء هم من القراء الجيدين.

وفق الارقام اعلاه نكتشف الاهمية الكبرى للقراءة في المجتمع الامريكي ولضمان بقائه متفوقاً. وتثير الاحصاءات القلق الامريكي الكبير من تراجع القراءة على المستقبل، فالامر لا يتعلق بمتعة القراءة ولا حتى باعتبارها مسألة ثقافية فقط، وانما باعتبارها مسالة امن وطني بكل جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

امريكا تدق جرس الانذار

وتؤكد مقدمة التقرير "ان قضية ان نقرأ او لا نقرأ هي قضية لها اهمية مركزية كبرى من اجل اقامة مجتمع مزدهر وحر". والتقرير يؤكد اهمية العمل الجاد والتحرك العملي من جانب الكل (اولياء الامور، المعلمين، الكتاب، الناشرين، رجال السياسة، رجال الاعمال، الاقتصاديين، والناشطين الاجتماعيين) لوقف انهيار معدلات القراءة كونها قضية تتعلق بمستقبل امريكا الاقتصادي والسياسي. "اذا استمرت أمريكا في خسارة معدلات القراءة المنتظمة بالمعدلات الحالية، فان الامة سوف تعاني من نكسات اساسية، اقتصاديا واجتماعيا ومدنيا".

اين تقف دول المنطقة من كل ذلك

الأمريكيون يتحدثون بقلق كبير عن تراجع القراءة بصورة عامة بين عامي 1992و2002 من 60.9 في المئة الى 56.6 في المئة، وتراجع القراءة عند الجيل الجديد، ويعتبرونها كارثة وطنية تتطلب حلولا سريعة، رغم ان أمريكا ماتزال تعتبر في طليعة دول العالم من حيث معدلات القراءة والاهتمام بها.

فماذا يمكن ان نقول نحن في دول الشرق الاوسط او فيما يعرف بالوطن العربي.حيث تسجل الاحصاءات في الدول العربية حول وضع القراءة في العام الحالي 2008 والصادرة عن مؤسسات دولية كاليونسكو ارقام كارثية :-

× 30 كتاباً هو نصيب كل مواطن في الدول العربية سنوياً من كل مليون شخص. في اوروبا يبلغ نصيب كل مليون اوروبي 584كتاباً سنوياً، وفي أمريكا نصيب كل مليون امريكي هو 212 كتاباً.

× في الدول العربية يتم ترجمة 330 كتابا سنويا. هذا الرقم يساوي 20% مما تتم ترجمته في دولة اوربية صغيرة هي اليونان.

× معدل ما يقرأه العربي في العام الواحد يبلغ ربع صفحة. الأمريكي يقرا في العام ما متوسطه 11 كتابا، والبريطاني 7 كتب.

× معدل الوقت الذي يقضيه العربي في القراءة في العام يبلغ ست دقائق (وفي ارقام لاحقة 10 دقائق). في الغرب المتقدم يبلغ هذا المعدل 12 الف دقيقة.

ارقام اكثر حرجاً

تبدو الارقام اعلاه متحفظة قياساً لارقام اخرى سجلتها استطلاعات ورشة العمل العربية لأحياء القراءة والنتائج الصادرة عن اتحاد كتاب الإنترنت العرب التي تكشف :

- الوقت الذي يستغرقه المواطن العربي في القراءة لا يتعدى الدقيقتين في العام. فيما يصل في أوربا إلى ستة ساعات للفرد في العام.

- عدد ما يطبع من كتب في جميع الدول العربية سنوياً يقارب المليون كتاب يوزع على ثلاثمائة مليون مواطن يعيش في الدول العربية، اي ان كل 300 مواطن حصته كتاب واحد (اي ان حصة المواطن الواحد هو 0.0033 كتاب) .

- في الدول العربية قرابة % 60من المواطنين أميون و20% أطفال لا يقرؤون أبداً، و% 15 يقرؤون بشكل متقطع و ليسوا حريصين على اقتناء الكتاب، ونسبة % 5 هم المواظبين على القراءة، وهذه النسبة تبلغ المليون وخمسمائة ألف مواطن أي أن نصيب المواطن الذي يهتم بالقراءة

في هذا الجزء المتخلف من العالم هو أقل من كتاب واحد سنوياً، مقابل 518 كتابا في أوروبا و 212 في أمريكا للمواطن الواحد.

وهذه الارقام تؤكد حجم التخلف الذي تعيشه الدول العربية والكارثة الثقافية التي تشهدها مجتمعات هذه الدول، رغم توفر اموال كبيرة في بعض الدول يفترض ان تستغل في التنمية البشرية وذلك عبر تشجيع القراءة ودعم البنية الثقافية. وهنا نحن لا نكتشف موقعنا المعيب في سلسلة دول العالم، بل نتوقع ما سيكون عليه موقع الاجيال القادمة التي تعيش على هذه الارض، وما سيكون عليه مستقبلها في حال لم يتم التحرك سريعاً وبصورة استراتيجية سياسيا واجتماعيا وبتخصيصات مالية كبيرة لمواجهة الواقع وتغيير الصورة السوداوية.

بمقارنة بسيطة اخرى ومع حقيقة ان اقليم كردستان جزء من العراق الذي ينتمي الى تلك الدول المتخلفة حضارياً اليوم، ومع غياب الاحصاءات في هذا الجانب فان اشارة واحدة ربما تكون كافية لمعرفة حقيقة ما نواجهه في اقليم كردستان وما سيكون عليه مستقبل الاجيال القادمة في هذه المنطقة.

في تحقيق نشرته صحيفة (الاهالي) البغدادية في عددها 251 الصادر في 21 ايار 2008 حمل عنوان (تراجع المستوى العلمي لطلبة جامعات العراق) اعترف اساتذة واداريون في جامعة دهوك بتدني المستويات العلمية والثقافية لطلبة الجامعة. ويقول الدكتور كاميران (استاذ الادب الكردي) "المستوى العلمي منخفض الى درجة مأساوية .. يصلنا الطالب الى الجامعة وهو غير مستعد نفسياً ولا علمياً ولا تربوياً يأتي وهو يحلم بالتسلية والمتعة". ويضيف "لا يوجد نظام تعليمي – تربوي ثابت ووزارة التربية لا تملك خطة مستقبلية". فيما يشير خضر الدوملي (اداري في اعلام الجامعة) الى تدني مستوى الاساتذة قائلاً "هناك تسعة استاذة في الجامعة من مجموع 677 تدريسي في الجامعة يتابعون الصحف ويشترونها"، ويضيف "في تقرير نشرته جريدة كردية اكد اصحاب المكتبات في دهوك انه من النادر ان يأتي استاذ ليسأل عن آخر الاصدارات".

اذا كان هذا هو حال اساتذة الجامعة الذين يعتمد عليهم في بناء وتوجيه الاجيال الجديدة ، والذين يفترض ان تكون القراءة محور اساسي في حياتهم كونهم اساتذة يحتاجون الى قراءة كل جديد لتطوير امكاناتهم، فكيف سيكون الحال مع الطبقات الاخرى من المجتمع.

وينقل عن اصحاب المكتبات ان الكتب الادبية التي تصدرها اكثر من جهة في المدينة توزع في الغالب من قبل مؤلفيها لأن سوقها يكاد يكون معدوماً، فمعظم الكتب الصادرة من ادباء المدينة لا تتجاوز مبيعاتها الـ 100 نسخة. فيما يؤكد مثقفون في المدينة ان كثرة المؤسسات والمنظمات والجمعيات الثقافية (التي تعد بالعشرات) لم تخلق حراك ثقافي اجتماعي، ومازال شراء كتاب يعد ترفاً ، والقراءة في مكان عام أمراً مثيراً للاستغراب.*3

اذا كان الامريكيون يدقون ناقوس الخطر بسبب تراجع القراءة بنسبة 4 بالمائة خلال عشر سنوات فما الذي يجب ان نفعله نحن الذين تنعدم القراءة عندنا حتى في المؤسسات الثقافية والعلمية. والسؤال هنا هل تدرك الحكومة الكردية حقيقة الواقع وهل تملك الارادة والامكانية لمواجهة تحديين كبيرين الاول يرتبط بتدني القراءة في المجتمع الكردي والثانية يرتبط باللغة الكردية واهمية الترجمة اليها باعتبارها لغة تبحث عن الحياة وسط عولمة اللغات وسطوة اللغات العالمية الرئيسية وانقراض اللغات المحلية بشكل تدريجي مع انحصار استخدامها في المؤسسات التعليمية.

لنترك الارقام والاحصاءات الدولية تتحدث عن

حجم الكارثة التي تعيشها المنطقة العربية (5 -4) :-

- الطفل الأميركي يقرأ نحو 6 دقائق في اليوم، بينما يقرأ الطفل العربي من 6 الى 7 دقائق في السنة؟

- أظهرت دراسة «عادات القراءة لدى الأميركيين» الصادرة عن المنظمة الوقفية للفنون (NEA)، أن الأطفال الأميركيين يشاهدون التلفاز يوميا لمدة ساعتين تقريبا. فيما يبلغ متوسط ساعات جلوس الطلاب في مصر أمام التلفاز 6 ساعات يومياً.

- يقدر ما يصدر في الوطن العربي من كتب جديدة بخمسة آلاف كتاب سنوياً، بينما صدر في عام 2005 في المملكة المتحدة 206الف عنوان جديد مقابل 107263 عام 1996، وصدرت في الولايات المتحدة 172 الف عنوان جديد عام 2005 .وكانت مطبوعات الدول العربية من العناوين الجديده في عام 1996على سبيل المثال : عمان 7 عناوين، قطر 209، الاردن 511، مصر 1917، السعودية 3900كتاباً . بينما اصدرت اسرائيل 2310 كتاب في ذات العام و 4000 كتاب عام 2005.

- حجم الكتب المخصصة للطفل العربي (400 كتاب في العام) مقابل 13260 كتاب في السنة للطفل الامريكي و 3838 للطفل البريطاني و2118 للطفل الفرنسي و1485 للطفل الروسي.

- اجمالي ماتنتجه الدول العربية لايساوي اكثر من 1,1 بالمئة من الانتاج العالمي من الكتب (نسبة سكان الوطن العربي الى نسبة سكان العالم 5,5 بالمئة).

- مداولات سوق الكتاب العربي بيعا وشراءا لايتجاوز 4 مليون دولار امريكي سنويا، في حين يصل هذا الرقم في دول الاتحاد الاوروبي الى 12 مليار دولار، ويصل سوق الكتب في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي 30مليار دولار، و10 مليار دولار في اليابان. ويُنفق الألمان قرابة 16 مليار يورو على شراء الكتب سنويا. وتبلغ مبيعات الكتب اجمالاً في كل انحاء العالم 88 مليار دولار، ويبلغ نصيب العالم العربي 1%منه فقط.

- عدد النسخ المطبوعة من كل كتاب في الدول العربية يتراوح بين 1000-5000 نسخة مقابل 85

الف نسخة في دول الغرب.

– يبلغ المعدل العالمي السنوي للقراءة لدى الفرد الواحد أربعة كتب، وهو عند العرب ربع صفحة وعند الإسرائيليين سبع كتب وعند الامريكيين يصل الى أحد عشرة كتاباً.

– يوازي عدد الكتب المطبوعة مثلا في إسبانيا، التي يبلغ عدد سكانها 39 مليون نسمة، سنوياً (قرابة مائة ألف كتاب) ما طبعه العربُ منذ عهد الخليفة المأمون الذي قُتل عام 813م وحتى اليوم (حوالي اثني عشر قرنا!!).

– العرب لا يترجمون خُمس ما يترجمه اليونانيون. والترجمة في كثير من الأحيان سيّئةٌ مبنى ومعنىً لتجاريتها وقلة مهنيتها. ويبلغ نصيب كل مليون مواطن عربي من الكتب المترجمة 4.4 كتاب بينما يبلغ نصيب كل مليون إسرائيلي 380 كتاب، وكل مليون مجري 500 كتاب، وكل مليون اسباني ما يقارب 950 كتاب.

– مُجمل الدخل القومي للعالم العربي لا يزيد عن دخل إسبانيا وحدها وهي من الدول الفقيرة أوروبياً.

– عدد الاختراعات الإسرائيلية سنويا يصل إلى حوالي 500 في حين أن عدد الاختراعات في كافة الدول العربية الاثنتين والعشرين لا يتعدّى الخمسة وعشرين اختراعاً.

– اللغة العربية تأتي في المرتبة السادسة من حيث عددُ الناطقين بها وذلك بعد الصينية والإنجليزية والهندية والإسبانية والروسية. ومن اللافت للانتباه أن عدد الكتب التي تُرجمت إلى العربية خلال ثلاثة عقود، 1970–2000، وصل إلى 6881 كتابا وهذا ما يعادل ما نُقل إلى اللغة الليتوانية التي يبلغ عدد الناطقين بها قرابة أربعة ملايين انسان فقط!

– في لبنان الذي يعد اكثر الدول العربية انفتاحاً على سوق الكتاب 14%من اللبنانيين يطالعون الكتب.*4

– تراجع سوق الكتاب في العالم العربي في السنوات الخمس عشرة الماضية بنسبة تتجاوز الـ75 في المئة.

– ما تستهلكه دار نشر فرنسية واحدة من الورق هي "باليمار" يفوق ما تستهلكه مطابعُ العرب مجتمعة من المحيط إلى الخليج.

ومثلما تثير التقارير السنوية عن التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة الرعب والإحباطَ في مجال القراءة وحركة النشر في الدول العربية. فان مؤشرات مستوى الجامعات في العالم تشير الى ان الجامعات العربية في المؤخرة.

1– أمة (اقرأ) لماذا لا تقرأ ؟... أحمد بن عبد العزيز العامر

2– الأميركيون لا يهتمون بالرواية والرجال هم الأقل قراءة/ موقع البلاغ

3– نقرأ.. أو لا نقرأ ؟... السيد زهرة/موقع التجديد العربي

4– التقارير السنوية عن التنمية البشرية الصادرة عن الأمم المتحدة واحصائيات من موقعي اليونسكو وموسوعة ويكبيديا.

5– موقع العرب على خارطة القراءة العالمية/ شبكة النبأ

الهوامش:

*1 (التزام الولايات المتحدة بالتعليم) : في مواجهة القلق الامريكي الذي ظهر في منتصف الثمانينات على مستوى التعليم والثقافة في امريكا وما يمكن ان يحمله من احتمال تراجعهم كأمة تقود العالم، بدأ تحرك واسع لرفع مستوى تمويل الحكومة الفيدرالية لقطاع التعليم وبلغت الزيادة نسبة 104 بالمئة في الفترة الممتدة من عام 1985حتى عام 2003.كما ازداد الدعم الفيدرالي الخارج عن إطار الميزانية لأمور مثل قروض التعليم والمساعدات على شكل عمل– دراسة بنسبة 207بالمئة في الفترة الممتدة من عام 1990حتى عام 2003. وتحتل

الولايات المتحدة المرتبة الأولى بين دول مجموعة الثماني (كندا، فرنسا، ألمانيا، إيطاليا، اليابان، روسيا ،المملكة المتحدة والولايات المتحدة) فيما يتعلق بحجم ما تنفقه على التعليم وما تنفقه على كل طالب في المرحلتين الابتدائية والثانوية ومرحلة التعليم العالي. وخارج نطاق مجموعة الثماني فان الدول الوحيدة التي يقارب إنفاقها على تلاميذها ما تنفقه الولايات المتحدة على كل تلميذ هي الدانمارك وسويسرا والنمسا والنرويج والسويد، وكلها دول صغيرة اقتصدياً. ويبلغ معدل ما أنفقته الولايات المتحدة على كل تلميذ في المرحلتين الابتدائية والثانوية في عام 2003حوالى 8019 دولاراً، علما ان تمويل المدارس مسالة تعود، في معظمها، إلى السلطات المحلية في كل ولاية من الولايات الامريكية وهو ما يعني ان الرقم قابل للزيادة في بعض الولايات وما هو الحال في مقاطعة كولومبيا التي تنفق على كل طالب (13ألفاً و 328دولاراً)، تلتها نيوجيرزي (12ألفاً و 322دولاراً) ثم ولاية نيويورك (12ألفاً و 140دولاراً).

مجلة (المراهقون الأميركيون) : مجلة إلكترونية تصدرها وزارة الخارجية الأميركية (تموز/يوليو 2005)

*2المؤلف البريطاني فيليب بولمان يقول عن القراءة : "عندما نقرأ، فنحن شركاء في تكوين معاني الكلمات، ونحن نتحكم في سرعة التلقي ايضاً، نحن نقرأ بالسرعة التي نريد، وليس بالمعدل الذي يريده أحد منا، وعندما ننتهي من القراءة، نستخلص من تجربة القراءة مزيجاً من أنفسنا والنص الذي قرأناه . وإن لم نساهم في ذلك أو نشارك في تكوين المعاني، فإننا لا نحصل على شيء من القراءة، وإذا فعلنا فإننا نحصل على العالم كله، إن هذا ما أعنيه عن ديمقراطية النص، وهو ايضاً السبب الحقيقي في أننا نحتاج إلى الطباعة والنشر والمكتبات العامة والأدب ومجال بيع الكتب والمؤلفين والكتب أكثر من أي وقت مضى .إن القراءة والديمقراطية ليسا شيئين مختلفين ، وليسا ايضاً جوانب مختلفة من شيء آخر ، إنهما حقاً الشيء نفسه".

وينقل كتاب (تاريخ القراءة) صوراً عن اهمية القراءة في صناعة مصير الانسان وعما كانت تشكله من قلق للانظمة الاستبدادية التي تعلم ان الجماهير الأمية تكون سهلة الانقياد وهو ما يدفعها لحرق الكتب وحظرها والرقابة عليها : كان مالكو الرقيق في أميركا يرفضون حتى مجرد التفكير في شعب أسود متعلم ويرون في ذلك مصدرا للخطر على مصالحهم وباعثا على التمرد، وحتى قراءة الإنجيل كانت ممنوعة على السود، وكان هذا الحظر يشمل الأحرار السود أيضا وليس فقط العبيد، وكانت القراءة وتعليمها تعتبر جريمة يعاقب عليها القانون وإذا تكررت فقد يعدم المعلم الأسود. ويقول: "ان مجرد التفكير في شعب أسود متعلّم كان يبعث الخوف في قلوب المستعمرين البريطانيين من احتمال عثور عبيدهم على أفكار انقلابية في الكتب".

ويقتبس ألبرتو مانجويل في كتابه (تاريخ القراءة) مقولة لإيتالو كالفينو تدلل على خطورة فعل القراءة (القراءة تعني الاقتراب من شيء في اللحظة التي هو فيها على وشك أن يُخلَق) وذلك من كتابه (If on a winter night.)(إذا في ليلة شتاء).

*3 يعزو الكاتب محمد أبي سمرا تراجع الكتاب في العالم العربي الى كون القراءة ظاهرة فردية عند العرب وليست نظاماً للتبادل الاجتماعي، "فاذا لم تكن القراءة عاملاً او ظاهرة مؤثرة في حياة الاشخاص وعلاقتهم ببعضهم بعضاً وبمحيطهم الذي يعيشون فيه .. تتحول ظاهرة فردية تؤثر سلباً على سوق الكتاب".

*4 في استطلاع أجرته مؤسسة "الدولية للمعلومات" في منتصف العام 2003 تبين ان اللبناني يخصص شهرياً 18 الف ليرة لشراء الكتب (30%) والمجلات(34%) والصحف (35%). وتخصص نسبة (43 في المئة) ما دون العشرة آلاف ليرة لبنانية شهرياً لشراء الكتب والمجلات والصحف فيما يخصص 12 في المئة منهم 50 ألف ليرة.